بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

[آل عمران : الآية ٦٤]

موضوعنا هذه المرة هو حقيقة الإسلام وعلاقته بالأديان السماوية الأخرى .

والحقائق والأحكام والحكم تأتى ـ فى الغالب ـ فى القرآن الكريم منثورة نثراً جميلاً وفى نظام يعلمه الله سبحانه ، وقد زعم بعض علماء السلف أنهم يعلمون حكمة النسق القرآنى ، وألفوا فى ذلك كتباً واهية لا تقوم على برهان مقنع ، ومن هؤلاء السيوطى وغيره ، وأنت لا تفيد شيئاً من قراءة هذه الكتب ، والأفضل دائماً أن تقرأ القرآن كما أنزله الحق سبحانه ، وتوجه همك إلى الفهم والإدراك دون الاستشراف إلى ما لا يمكن أن يكون لك أو لغيرك به علم ، لأن القرآن كلام الله لا يقبل السفسطة ولا حديث الهباء الذى لا يتحصل من ورائه شىء .

ولكن أحياناً يأتى القرآن بنسق متصل من الآيات ، يستوفى قول الحق فى موضوع ما ، وذلك لتبيينه على وجهه للرسول وأمته من ورائه ، وذلك لا يمنع من ورود نفس الحقائق منجمة فى صور شتى وفى سُوَرٍ شتى ، فى مقامات

يقتضيها سياق المعانى ، لأن القرآن لا يعرف التكرار فى ألفاظه أو معانيه ولو بدت لنا متقاربة بل متطابقة ، ولكن العبرة فى كل حال بالسياق والسياقات تعطينا معانى جديدة لنفس الحقائق .

ومن المواضع التى يأتى فيها القرآن بنسق متصل من الآيات تستوفى موضوعاً واحداً مانجده فى سورة آل عمران ابتداء من الآية التى جعلناها ـ والتى تليها ـ محوراً لهذا الحديث عن حقيقة الإسلام وعلاقته بالأديان السماوية الأخرى .

والموضوع هنا خطير ، ولا يمكن إلقاء الكلام على عواهنه فيها .

ونحن إذ نكتب فيه لا نقصد إلى إقناع غير المسلم بأنه مخطىء ، وأن عليه أن يراجع نفسه ويعود إلى الحق ويدخل الإسلام ، لأن الهدى هدى الله ، وكلما كان الإنسان جاهلاً كان أشد تمسكاً بدينه ، لأنه ولد على هذا الدين ولا يعرف غيره ، وتعود على مدى حياته أن يأخذ ما قاله له أبواه أو القس الذى يتردد عليه قضية مسلمة ، على هذا نشأ وتعود ، وهو يجد الأمان والثقة والاطمئنان فيما تعود القول به ، فإذا كان يقول بأن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ابن الله أو هو الله أو هو أبونا الذى فى السموات والأرض فهو لن يتحرك عن ذلك القول قيد أنملة مهما قلت له ، والقرآن يقرر هذه الحقيقة فى آيات من التى نحن بصددها وذلك حيث يقول ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** ﴾ [آل عمران ٣/ ٧٥] والأميون عند اليهود والنصارى فى القرون المسيحية الأولى:

مصطلح كانوا يستعملونه فى الكلام عمن ليس على دينهم ، فالنصارى أميون فى نظر اليهود ، وكذلك اليهود فى نظر النصارى ، أما فى القرآن فلفظ أمى يستعمل بمعنيين :

الأولى : هو هذا الذى تكلمنا عنه فى معرض الكلام عن النصارى أو اليهود وفى الآية السابقة نجد النصارى واليهود يقولون إنه لا سبيل علينا من الأميين أى

أننا لا نصغى إلى ما يقول أولئك الذين ليسوا على ديننا ، والقرآن يستعمل هذا المصطلح فى هذا المعنى فى مقام التبكيت لأهل الكتاب - من اليهود خاصة - الذين كانوا يزعمون أن النبوة لا تكون إلا فى أسباطهم أى قبائلهم الاثنى عشر لأن مَنْ عدا ذلك فأميون ، أى أقوام لا يختار الله منهم رسولاً ، والقرآن يقول لهم : ماذا تقولون الآن وقد شاءت إرادته أن يصطفى نبياً خارج الحدود التى وضعوها لرحمة الله ، ومثال ذلك قوله تعالى فى سورة الجمعة :

﴿ يُسبح لِلهِ ما فِى السَّمٰوات وما فِى الأرضِ الملِكُ القُدُوس العزِيزِ الحكيم . هو الذِى بعث فى الأميين رسُولاً منهُم يتلو عليهِم آياتِهِ ويُزكيهِم ويُعلمُهُم الكِتاب والحِكمة و إن كانُوا مِن قبلُ لفِى ضلالٍ مُبين ﴾ .
[الجمعة ٦٢/ ١ - ٢] .

وأما المعنى الآخر الذى يستعمل فيه مصطلح أمى فى القرآن المجيد فهو معنى خاص برسول الله ﷺ ، فإن إرادة الله لم تقف عند اصطفائه نبيه عند اختياره من غير الخط الذى حدده اليهود ، بل اختاره أمياً لا يقرأ توكيداً لمعنى حكمة الله فى اختياره ، فقد كان عيسى ابن مريم فى نظر اليهود أمياً لأنه نجم فى غير أنساب الأسباط ، ولكنه كان يقرأ ويكتب ، وهنا يأتى محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب ، والله سبحانه علمه الكتاب والحكمة وكل شيء ، واقرأ هنا قول الله سبحانه فى سورة الشورى : ﴿ وكذلِك أوحَيْنا إليك روحاً مِن أمرنا ماكُنت تدرى ما الكِتابُ ولا الإيمانُ ولكِن جعلناهُ نوراً نهْدى بِهِ من نَشاءُ من عِبادِنا و إنك لتهدِى إلى صِراطٍ مستقيم ﴾ (الشورى ٤٢/ ٥٢) وتوكيداً لهذا المعنى القرآنى الخاص برسول الله ﷺ يقول تعالى فى سورة العنكبوت :

﴿ وما كُنت تتلو من قبلِهِ من كِتابٍ ولا تخُطُه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾ (العنكبوت ٢٩/ ٤٨) .

وهنا نفهم حكمة الله فى أمية نبيه . فإن المبطلين (أى أهل الباطل) لم

يدعوا طريقاً للتشكيك فى نبوة محمد إلا سلكوه ، فهنا وتأكيداً لإرادته سبحانه فى وضع رسالته حيث يشاء يضعها فى رجل لم يكن يكتب ولا يقرأ ، وهذا كلام يقال لناس عرفوا الرسول قبل البعثة وبعدها ، وهو كان قبل البعثة تاجراً يتعامل مع الناس ، ولو كان قارئاً كاتباً لشهد بذلك واحد ممن عاملوه وما أكثرهم ، ولكننا على رغم اجتهاد الكفار فى التماس السبيل على رسول الله لا نجد واحداً منهم يقول : لقد عاملته وهذا إيصال أو كتاب منه ، لأن الحجة هنا كانت تكون فاصلة .

ونعود إلى الآيات التى جعلناها محور هذا الحديث لنقول : إنها أصدق وأوضح دعوة إلى اجتماع الكلمة حول الله الواحد الذى لا إله غيره ، لأن اجتماع الكلمة على عبادة الله الواحد هو الضمان الأكبر للسلام والأخوة بين البشر كما قلناه .

ذلك أن أهل الكتاب جميعاً يقولون إنهم يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً وما قرأت لنصرانى أو يهودى على أى مذهب من مذاهب هاتين الديانتين إلا وهو يؤكد ذلك ، ولكن النصارى جميعاً لا يمكن أن يتخلوا عن القول بالثالوث فى أى صورة من صوره ، ولا ذكر لعقيدة الثالوث فى الأناجيل أو فى العهد القديم ، إنما هو الله الواحد ، والمسيح كلمته التى ألقاها فى مريم بنت عمران فحملت بعيسى ، كما يقر الله سبحانه كل إنسان فى رحم أمه ، وفى الآية السادسة من سورة آل عمران نقرأ : ﴿ **هُو الذى يُصوركُم فى الأرحامِ كَيف يَشاء . لَا إله إلاَّ هو العزيزُ الحكيمُ** ﴾ وليس فى الإنجيل فيما يتعلق بعيسى ابن مريم إلا هذا المعنى القرآنى ، وعيسى ابن مريم لم يقل قط إلا أنه رسول الله إلى البشر ، وعبارة « أبى » التى ترد على لسانه فى الأناجيل لا تعنى بالضرورة البنوة المباشرة ، بل إن المسيح عيسى ابن مريم يقول فى خطبة الجبل وفى كل حديثه إلى الإسرائيليين : إن إلهنا واحد ، ولكننا لا ينبغى أن ننسى أن المسيح

بعث فى عصر اختلاف عقائدى شديد ، وكانت الآراء الفلسفية التى قال بها فلاسفة الفكر الهليسنستى وخاصة فى الإسكندرية تملأ الجو وتلقى الشكوك فى القلوب . وقد قرر اثنان من أشهر أساتذة تاريخ الأديان هما أدولف فون هارناك Adolfh Von Harnach و F.C. Baur فريدريش باور أن القول بالثالوث كان ثمرة تأثر الفكر المسيحى بالفكر الهيلنى ، لأن القول بالثالوث أو ثلاثية المعبود نشأ فى مصر القديمة ، ولقى قبولاً فى الكثير من عقائد العصور القديمة والعصر الهليسنستى Schleiermacher ويذهب فريدريش شلا يرمان Friederich Sxhlaiermacher أن عقيدة الثالوث نشأت عن محاولة للتوفيق بين المسيحية والآراء الشائعة خلال القرنين المسيحين الأولين ، وفى أيامنا هذه يرجع تمسك الكنائس البروتستناتية بالقول بالثالوث إلى اجتهادات كارل بارث Carl Barth وسلطانه الواسع على الفكر البروتستانتى فى عصرنا ، أما بالنسبة للكنيسة المصرية فإن القول الفصل فى الثالوث تحدد بما تقرر فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية من أنه لابد أن تكون هناك علاقة بنوة بين الله والمسيح عيسى بن مريم لأن الابن - كما قالو - ينبغى أن يكون من طبيعة الأب ، والأب فى هذه الحالة هو الله ، وهذا هو القول الذى ثبت عليه الانبا اثناسيوس واضع أسس العقيدة المسيحية على المذهب القبطى القائم على القول بوحدانية الله مع عدم إنكار البنوة فى حين تأثرت العقيدة الكاثوليكية بآراء لاهوتيين من أمثال باسيل وجريجورى النازيانسى ، ولهذا فإن للكاثوليكية عقيدة فى الثالوث تختلف اختلافاً بيناً عن قول الكنيسة القبطية فيها ، وهذا الخلاف هو الذى أدى إلى طرد الأقباط المصريين من مجمع فلقيدونية سنة ٤٢٥ م ، وهو مجمع مخرب ، فرق المسيحيين أحزاباً ، وأقباط مصر يسمونه مجمع اللصوص .

وهذه آراء أذكرها لا لكى أشكك مسيحياً فى مسيحيته ، ولا لكى أفتح الطريق أمام مسلم لكى يقول فى دين آخر شيئاً لا يليق ، فقد سبق أن قلت إن

شأن الإنسان مع دينه شأن وراثة ، فنحن نرث أديانا كما نرث لغاتنا عن ابائنا ، ثم نتمسك بعقائدنا التى ورثناها تمسكنا بأصولنا التى نفخر بها ، ولا فضل لنا فى هذه الوراثة ، ونحن نصر على أن تراثنا هذا هو أساس شخصياتنا ولباب وجودنا فكيف نتحول عنه ، ولا يحدث إلا فى القليل النادر جداً أن يبلغ إنسان منا سن الرشد فيقول : الآن إدرس الأديان جميعاً لكى أختار لى الدين الذى أرى أنه الحق فليطمئن أصحابنا الذين يغالون فى حماستهم الدينية ويزعمون أن لهم فضلاً فى إيمانهم بالإسلام مثلاً ، وكل الذى نطالبهم به هو أن يكونوا مسلمين صالحين ، أو يكونوا على خير ما يكون عليه المسلم ، وهذا هو مايقوله الله سبحانه وتعالى فى الآيات التى جعلناها محوراً لهذا الفصل :

﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا : اشْهَدُوا بأنا مسلمون ﴾ .

أجل ! إذا لم يسمعوا لك فكل ماعليك هو أن تشهد الناس على أنك مسلم وهنا ينتهى واجبك بحسب مايقرره القرآن ، ولنلاحظ هنا أن الكلام موجه إلى أهل الكتاب ، أى النصارى واليهود ، لأن للإسلام موقفاً آخر من الكفرة عباد الأوثان ـ فإذا تطرق مسلم إلى ما وراء ذلك فى حديثه مع أهل الكتاب فقد تجاوز حده الذى رسمه الله تعالى له فى هذه الآيات ، وبودى لو قرأ كلامى هذا بعض شبابنا ممن لم يتلقوا ثقافة إسلامية صحيحة ، فيحسبون أن الإسراف فى الحماسة والتعدى على أصحاب الديانات الأخرى من أهل الكتاب فضيلة إسلامية ، وهو فى خروج على مارسم لنا القرآن ، فإن قوة العقيدة الإسلامية تأتى دائماً من منطقيتها ومن أخلاقياتها ، فنحن مطالبون بأن ندعوا لديننا بالحكمة والموعظة الحسنة ، لا بالعنف والغلظة ومظهر التدين الخارجى من هيئة وملبس أو جهامة أو عناد وأولى بنا أن نذكر دائماً أن الإسلام واضح بين ، وما إلى ذلك مما يمكن أن

يخدع النـاس ، ولكنـه لا يجوز على الله سبحـانـه ، وأولى بنـا أن نـذكـر دائماً أن الإسلام واضح بين ، وأن كل ماعلينا حياله ـ إن كنا نؤمن به حقاً ـ هو أن نتخلق بأخلاقه ، ونتبع مـا يأمر به من سلامة النية والطـوية وحب الخير للناس والبعد عن الأنـانية ومخالقـة النـاس بخلق حسن ، كما كان رسـول الله ﷺ يعمل حتى نكون نحن خير دعـاية للإسـلام ، ونعرف الناس بـديننا بهذه الطريقـة وندعهم وشأنهم ، فإن الهدى هـدى الله وهو سبحـانه أدرى بعبـده ، ولا يذكر التـاريخ حالة تعصب دينى واحدة أدت إلى خير أو خدمت المتعصبين أو عقيدتهم .

ثم تتجـه الآيات القرآنيـة من سورة آل عمـران التى نتابـع دراستها الآن إلى أصول عبادة الله الواحدة ، وهى عند إبراهيم عليه السلام أبى الأنبياء ، فهو أول من قال بعقيـدة التوحيد الخالص بعـد نوح عليه السـلام ، وقد قال بـه فى كلام صريح واضح لا يداخله شك :

﴿ ياأهل الكِتاب لِم تُحاجُون فى إِبراهِيم وما أُنزِلتِ التوراةُ والإنجيلُ إِلا من بعدِهِ ، أفلا تعقلون . هـا أنتم هؤلاءِ حاججتم فِيما لكُم بِهِ علمٌ فلم تحاجُون فِيما ليس لكم بـهِ علمٌ ، واللهُ يعلمُ وأنتُم لا تعلمُـون . ماكـان إِبراهيمُ يهودِياً ولا نصرانِياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان مِن المُشرِكِين . إن أولى النـاسِ بإِبراهِيم للذِين اتبعُوه وهذا النبِىُ والذِين آمنُوا واللهُ ولى المؤمِنِين ﴾ [آل عمران ٣/ ٦٥ ـ ٦٨] .

وهـذه الآيـات تعطينـا مثالا ممـا كـان رسـول الله ﷺ يلقـاه من عنف أهل الكتاب ، ومـا كانـوا يواجهـون به الـرسول من مزاعم لا تقـوم على علم أو فهم حقيقى ، وهنا يعنينا الحافظ ابن كثير فى تفسيره لمعرفة الظروف التى أوحيت فيها هذه الآيات إلى رسول الله ، وهى ظـروف يمكن أن يلقاها أى مسلم فيستعين بها على مـايواجـه بـه ، ولقد قـرأت من كـلام بعض غلاة المستشرقين فى تعـرضهم للإسلام كلاماً كثيراً فى هذا المعنى وخاصـة اليهود منهم من أمثال إبراهام جايجر

Abraham geuger وهورفيتز Horovitz و هـ . هير شفيلد H. Herschfeld و A.J. Winsinch وتعجبت من تحاملهم على الإسلام دون روية ، وعذرت اليهود منهم فى هـذا البغض للإسـلام لأنـه بغض تقليدى لا يـرجع إلى نـزاعنا معهم حـول فلسطين ، ومن أمثلـة ذلك أن أشد حملات اليهـود على الإسلام تجدهـا فى دائرة المعارف اليهودية The Jewisch Eneyclopedia طبعـة ١٩٠٦ ، وكل مـوادهـا أعدت قبل ذلك بسنوات ، ولم تكن بيننا وبين اليهود فى ذلك الحين أى عداوة ، ولكنها شيء غـريب مركب فى طبعهم ، واقرأ فيهـا مواد : محمد وإسـلام ومكة والمدينة والعرب وتعجب من عنف الهجوم والافتراء دون مبرر .

ولكنى كما قلت لك تعجبت من عنف رجل مسيحى هولندى هو فانسينك Wensinck فى نقد الإسلام وعـداوة رسوله ، ولم أجد قط مايدعـو إلى الرد عليه ، لأنك ترد على شيء منطقى بمنطق مثلـه ، ولكنك لا تدرى كيف ترد على شيء عاطفى إلا بالأسلوب الذى أمرنا الله به وهو إهماله ، لأنه لغو أو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأحيانا تجد الحملة على الإسـلام ترجع إلى أسباب سياسية ، كما تجد عنـد الكونت ليـونى كايتـانى Leona Caeteni وخاصـة فى كتابـه المسمى بحوليات الإسلام Annali dell Islam فقد كتبـه الرجل بينما كـانت إيطاليـا قد استولت على ليبيا ، ومضت تحاول تحويلها إلى بلد مسيحى ، فكتب هو يهاجم الإسلام ويهون أمـره ، وقد انتهت المعركة السيـاسية بانتصار الإسـلام نصراً مؤزراً على أيدى السنـوسيين الذيـن اجتهدوا فى الدعـوة ومدوا رواق الإسـلام على كل وسط الصحراء الكبرى وإقليم تشـاد ، ومادام الإسـلام قد رد عليـه أبلغ رد فقد انتهينا من أمر كاتيانى وأمثاله .

وينفعنا فى فهم هذه الآيات المؤرخ المحدث ابن كثير ، فهو يقول هنا ـ راوياً بسنده إلى ابن عبـاس ـ اجتمعت نصارى نجران وأحبـار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعـوا عنده ، فقالت الأحبـار ماكـان إبراهيم إلا يهودياً ، وقـالت النصارى

مـاكان إبـراهيم إلا نصرانيـاً ، فأنزل الله على عبـده هـذه الآيات التى تـدحض مايقولون بـالحجة البالغة ، فإن التوراة والإنجيل أنزلا بعـد إبراهيم فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً ؟ ونزيد نحن كلام ابن كثير بيـاناً فنقول إن اليهود منسوبون إلى يهودا أو يهوفا ، وهو عندهم اسم الله الـذى تصورروه وصورروه على هواهم ، فهو إلههم وحـدهم دون غيرهم من أصنـاف البشر ، أمـا النصارى فمنسـوبـون إلى يسوع النـاصرى أو المسيح ، ومن ثم فلا يمكن أن ينسب إبـراهيم إلى شيء كان بعده ، أمـا الإسلام فهـو اسم عقيـدة إسلام الإنسـان وجهه لله وتسليمـه نفسه لمشيئته ، وهو لا ينسب إلى محمد ﷺ ونحن لا نحب أن نوصف أو نـسمى بأننا محمديون Muhammedans وإنما نحن ومحمد أتبـاع الحق سبحانـه ، وتأمل قول الله سبحانه فى الآيات التالية ، لتعرف حقيقـة طريقة الإسلام فى الدعوة : ﴿ **إن أولَى النـاسِ بإبراهِيم للـذِين اتبعوهُ وهـذا النبي والذِين آمنـُوا والله ولِيُ المؤمِنينَ** ﴾ .

ويستوقف نظرى فى هذا المقام أنني قرأت الكثير من كلام اللاهوتيين اليهود والمسيحيين فما وجـدت عندهم انتسـاباً حقيقيـاً إلى إبراهيم عليـه السلام ، أمـا اليهود فقصـاراهم التوراة والبحـث عنها وعن أصولها والـرجوع إلى مـوسى وتتبع أخباره والانتهـاء بعقيدتهم عنـده ، ومن غريـب مايـلاحظ فى دراسات كتـابات أحبار اليهود Tabbinical literature هـو أن إبراهيم عنـدهم سابق على مـوسى وممهد له ولا زيادة ، وبعـد ذلك تنتهى رسالة إبراهيم لأن الله فى رأيهم أوحى إلى موسى الألـواح وهى جزء من التـوراة ، ثم أكمل التوراة بما تجده عنـد أنبياء بنى إسرائيل سواء فى الكتابات اليهودية أو العهد القديم ، أما اللاهوتيون المسيحيون بمن فيهم الكـاثوليك فجهـدهم كله مـوجه إلى الأنـاجيل وما لـدينا من أخبـار عيسى ابن مريم ؛ لأن رسالة إبراهيم وكل الأنبياء من بعده رسالة ناقصة ، فهى الوعـد والتمهيد لمجيء عيسـى ابن مريم بـالبشارة على الصورة التـى يحكونها ،

ومن غريب ماأذكر هنا أن أوْفَى أخبار عيسى ابن مريم نجدها فى القرآن الكريم لا فى الأناجيل ، لأن الأناجيل لا تقص علينا من أخبار عيسى ابن مريم إلا شهوراً وربما أسابيع فحسب ، فكلها تبدأ بأخباره منذ بدأ يدعو عند بحيرة طبرية ، وكيف بدأ الحواريون ينضمون إليه ومن غريب ما تقرأ عندهم أن عيسى ابن مريم كان يحس بقرب منيته فنقل كل ما منحه الله إياه من قوى على الإتيان بالمعجزات إلى الحواريين ، قال أحد كبار شراح إنجيل مرقص « ثم صعد ـ يريد المسيح عيسى ابن مريم ـ إلى الجبل ودعا إليه هناك الذين أرادهم ووقع عليهم اختياره من بين أتباعه الكثيرين ليكونوا تلاميذه الأحقاء الملازمين له ليؤهلهم بتعاليمه و إرشاداته ليكونوا رسلا له وليكرسوا أنفسهم لخدمة بشارته ، فجاءوا إليه فأقام منهم لهذه الغاية اثنى عشر رسولاً ، وقد منحهم سلطاناً لأن يشفوا المرضى ويطردوا الشياطين أى أنه منحهم سلطانه الذى خوله الله إياه ليستخدمه فى صنع المعجزات ، فأصبحوا ممثلين له ونواباً عنه ومنفذين لمشيئته ، وقد جعل عددهم اثنى عشر ليكونوا بعدد أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر ، إذ أنه دبر بحكمته أنهم فى يوم الدينونة يدينون أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر ، وكان أولئك الرسل هم سمعان الذى لقبه بطرس ، ويعقوب بن زيدى ، ويوحنا أخو يعقوب اللذين لقبهما بوا نرجس أى ابنى الرعد ، لحماستهما الشديدة ، وأندراوس ، وفيلبس ، وبرقلماوس ، ومتى ، وتوما ، ويعقوب بن حلفى ، وتداوس ، وسمعان القانوى ، ويهوذا الأسخريوطى الذى خانه فيما بعد وسلمه لأعدائه ، ثم يلى ذلك تصميم أحبار اليهود على القضاء على عيسى ابن مريم خوفاً من دعوته ومحاولة حوارييه وآله وأتباعه إنقاذه من أذاهم ، ثم القبض عليه ومحاكمته والحكم بموته ثم صلبه فى قولهم .

وهذا كلام لا أقوله ليستعمله المسلمون فى الحجاج ، وإنما لكى يتأمله المسلمون ويقارنوه بما عندهم ، وقد يحدث أن يوفق الله أحدهم إلى الخروج

للدعوة للإسلام فى بلد أفـريقى أو آسيوى ، فهناك سيجد قطعاً مبشرين نصارى فيكـون على علم بما عندهم ، وهـذا كله ينفعـه فيما هـو قد رصـد نفسه لـه من الدعـوة للإسـلام ، وأحب أن أذكر أولئـك الإخوة إلى أن كل اليهـود والنصارى متمسكون بـدينهم ولا معنى لمجادلتهم فيه ، فـلايكونن همنا الإسـاءة إلى الناس فى أعز مالديهم ، وهو أديانهم ، وكما نعتـز نحن بديننا فإن غيرنا حقيق بأن يعتز بدينه ، وعلينـا احترام هذا الاعتزاز ، لأن الله سبحانـه إذا كان قد خلقك مسلماً فهذه نعمة لا يد لك فيها . وإنما أنت تشكرها بأن تكون على مستواها وأهلاً لها وإذا كان سبحانه قد خلق غيرك على غير الإسلام فإن له من وراء ذلك حكمة ، ولو شـاء ربك لجعل النـاس أمة واحـدة ، والهدى هدى الله . وإنما هـذه كلها معلومات تنفع الداعى لـلإسلام بين عبدة الأوثان أو عبدة الأرواح أو المجسمين من البدائيين ممن يراهم على غير ديـن ، ولا أجد ماأؤيد به كـلامى فى هذا المقام إلا الآيات التالية من نفس نسق آيات آل عمران التى نتابعها الآن :

﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكُم قل إن الهُدى هـُدى اللهِ أن يؤتـى أحدٌ مِثل مـاأوتيتمْ أو يُحاجُوكُم عنـد ربكِم قل إن الفضل بِيـدِ اللهِ يؤتيـهِ من يشـاءُ واللهُ واسعٌ عليمٌ يختص بِـرحمتـِه من يشـاء واللهُ ذو الفضـــل العظيمِ ﴾ .

[آل عمران ٣/ ٧٣] .

وهذا هو نهج الإسلام فى الكلام مع أهل الكتـاب : حكمة وموعظة حسنة وطهارة فى القول دون استعلاء أو غرور أو عـدوان ، لأن الهدى بيد الله لا بأيدينا واللجاجة فى الدين لا تؤدى إلى خير أبداً .

وعسانا لا ننسى أبدا أن الدين لله وأن الوطن للجميع ، وأن الله سبحانه إذا كان قد جعل الهدى بيديه فإنه جعل أوطـاننا بين أيدينا ، فلندع ما لله لله ولنهتم بما ألـزمنا بـه الله ، ولنجتهد فى الحفـاظ على وحـدة أوطاننـا ، لأن أعداء هـذه

الأوطان كثيرون ، والله سبحانه عندما قال لرسوله : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يَهدى من يشاءُ** ﴾ كان يريد أن يزيده بصيرة بحدود مسئوليته ، والآيات بتمامها فى سورة القصص وسأتلوها عليك فهى ترسم لك حدود كلامك فى الدين :

﴿ **وإذا يُتْلَى عليهم قَالُوا آمنا بهِ إِنه الحَق من ربنا إنا كُنا من قبلهِ مُسلمِين . أولئِك يُؤتوَن أجرُهم مرتينِ بما صبرُوا ويدرأون بالحسنةِ السيئة ومما رزقناهُم يُنفقون . وإِذا سمعوا اللغو أعرضوا عنهُ وقالُوا لنا أعمالنا ولكُم أعمالكُم سلام عليكُم لا نبتغِى الجاهِلين . إِنك لا تهدِى من أحببت ولكن الله يهدِى من يشاءُ وهو أعلمُ بالمهتدين** ﴾ .

[القصص ٢٨/ ٥٣ـ٥٦] .

وهذه الآيات الكريمات ترسم لك المنهج الذى ينبغى عليك اتباعه فتأملها ملياً واعمل بها ، ولا تأخذنك الجاهلية فتتخطى حدودك وتظلم نفسك ودينك ووطنك ، واذكر أنك إذا استطعت أن تكون مسلماً صحيح الإيمان والطوية ، سليم دواعى الصدر ، خالص النية لله ، كافاً عن الناس أذاك ، فهذا حسبك ، وليتنا كلنا كنا كذلك إذن لكنا فى حال غير الحال .

* * *